

## فدوى طوقان شاعرة فلسطينية: دراسة

د/ أ. شنيل

محاضر، قسم العربية، جامعة كيرلا، كاريونام، تروننتبرام، كيرلا

Email: drshanil@gmail.com

لم تقلل أعداد الشاعرات البارعات في اللغة العربية في العالم العربي الحديث حتى في فلسطين<sup>1</sup> أيضا، بل كانت فدوى طوقان (1917-2003) من الشخصيات الأدبية القليلة التي لا يأتي الزمان بمثلها إلا نادرا. هي فدوى طوقان بنت عبد الفتاح آغا طوقان وشقيقة الشاعر إبراهيم طوقان وأهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين، ولدت في مدينة نابلس<sup>2</sup> الفلسطينية سنة 1917م لإحدى أعرق الأسر المثقفة والغنية وذات حظوة كبيرة في المجتمع الفلسطيني، ولقبت بشاعرة فلسطين، حيث مثل شعرها أساسا قويا للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتجاج المرأة على المجتمع. وكذلك يليق بفدوى طوقان أن تحمل لقب "سنديانة فلسطين"، و"أم الشعراء"، و"الجبل الثالث في نابلس"<sup>3</sup>.



### تأثيرها على أخيها إبراهيم طوقان

<sup>1</sup> فلسطين هي منطقة تاريخية في قلب الشرق الأوسط، تقع شرق البحر الأبيض المتوسط وتصل بين غربي آسيا وشمال أفريقيا بوقوعها، وشبه جزيرة سيناء، وتحتوي هذه المنطقة على عدد كبير من المدن الهامة تاريخيا ودينيا بالنسبة للديانات التوحيدية الثلاث، وعلى رأسها القدس والخليل وبيت لحم والناصرة وأريحا وطبريا. وهي محاطة اليوم ببلدان عربية وكذلك جزء كبير من سكانها من الناطقين بالعربية. أما الجزء الآخر من سكانها هم من الناطقين بالعبرية وأتباع الديانة اليهودية.

<sup>2</sup> نابلس إحدى أكبر المدن الفلسطينية سكانا وأهمها موقعا. هي عاصمة فلسطين الاقتصادية ومقر أكبر الجامعات الفلسطينية. تعتبر نابلس عاصمة شمال الضفة الغربية إضافة إلى كونها مركزا لمحافظة نابلس التي تضم 56 قرية ويُقدر عدد سكانها بقرابة 321,000 نسمة حسب إحصاءات عام 2007. تعرف أيضا بأسماء جبل النار ودمشق الصغرى وعش العلماء.

<sup>3</sup> <http://palestinianwriters.blogspot.com>

تلقت تعليمها في نابلس، ولم تتح لها الظروف إتمام تعليمها الجامعي في الخارج، فلما تركت مقاعد الدراسة واستمرت في تثقيف نفسها بنفسها ثم درست على يد أخيها الشاعر إبراهيم طوقان<sup>1</sup> الذي نمي مواهبها ووجهها نحو كتابة الشعر، وقد بدأت رحلة فدوى طوقان مع الشعر تحفظ القصائد التي يختارها لها أخيها إبراهيم طوقان، وبدأت تتعلم من جديد في مدرستها التي فتح إبراهيم أبوابها، تقول:

"ها أنا أعود إلى الدفاتر والأقلام والدراسة والحفظ، ها أنا أعود إلى جنتي المفقودة، وعلى غلاف دفتر المحفوظات تلالأت بعيني هذه الكلمات التي كتبتها بخطي الرديء، خط تلميذة في الثالثة عشرة من العمر، الاسم: فدوى طوقان. الصف: شطبت الكلمة وكتبت بدلا منها المعلم: إبراهيم طوقان. الموضوع: تعلم الشعر. المدرسة: البيت".<sup>2</sup>

تعرفت فدوى طوقان إلى عالم الشعر عن طريق أخيها الشاعر إبراهيم طوقان<sup>3</sup>، وكذا استمرت عنايته على حياتها الشعرية عبر السنين، وتقول الدكتورة فرحانة صديقي عن علاقة فدوى مع أخيها وأهميته في حياتها الشعرية: "كانت عائلة فدوى لا تحب أن تقرض فتاة منها الشعر وتشره في الصحف والمجلات وإن كان ذلك باسم مستعار أو تحضر المجالس الشعرية سافرة والوجه مهما بلغ هذا السفور من رزانة واحتشام. والشخص الوحيد الذي قام بتشجيع أخته مقدرًا مطامحها ومواهبها كان أخوها إبراهيم. فأسبغ

<sup>1</sup> إبراهيم عبد الفتاح طوقان شاعر فلسطيني (1905 - 1941) وهو الأخ الشقيق للشاعرة فدوى طوقان ورئيس الوزراء الأردني أحمد طوقان. كان طوقان أحد الشعراء المنادين بالقومية العربية والمقاومة ضد الاستعمار الأجنبي للأرض العربية وخاصة الإنجليزي في القرن العشرين.

<sup>2</sup> <http://www.abab.com>

<sup>3</sup> Julie Scott Meisami & Paul Starkey, Encyclopedia of Arabic Literature (vol.II),Routledge, London and New York,1998, P. 786

عليها قدرا كبيرا من عطفه وعنايته وشجعها على مواصلة إظهار موهبتها الشعرية<sup>1</sup>.

سافرت هذه الشاعرة العزيزة إلى البلدان العربية والأوروبية في أزمان مختلفة كما زار لندن في بداية الستينيات من القرن العشرين وأقام هناك فترة من الزمن. وهذه الإقامة، فتحت لها آفاقا معرفية وإنسانية، حيث جعلتها على اختلاط مع محققات الحضارة الأوروبية الحديثة وبعد عودتها منها خرجت فدوى إلى الحياة العامة بنابلس فبدأت في حضور المؤتمرات واللقاءات والندوات التي كان يعقدها الشعراء الفلسطينيون البارزون من أمثال محمود درويش وسميح القاسم<sup>2</sup> وتوفيق زياد<sup>3</sup>. وكذلك شاركت هذه الشاعرة السخية في مؤتمرات الأدب ومهرجانات الشعر التي عقدت في أقطار العالم العربي<sup>4</sup>.

### آثارها الشعرية والنثرية

وقد نظمت فدوى شعرها في عدد كبير من الموضوعات الشخصية والاجتماعية، ولكن أكثره كان تعبيرا عن همسات روحها، وخلجات قلبها ومناجاة الطبيعة بعد تجسيدها، وكانت فدوى طوقان من أوائل الشعراء الذين عملوا على تجسيد العواطف الصادقة في شعرهم، بعد سقوط بلدها في براثن الاحتلال الصهيوني هيمنت على شعرها موضوعات المقاومة<sup>5</sup>. وبدأت

<sup>1</sup> د/ فرحانة صديقي، دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، ص - 243، نيو دلهي، 2003

<sup>2</sup> سميح القاسم، أحد أشهر الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي العام 48، مؤسس صحيفة كل العرب، عضو سابق في الحزب الشيوعي. ولد لعائلة عربية فلسطينية درزية في مدينة الزرقاء الأردنية عام 1939، وتعلم في مدارس الرامة والناصرية. حصل سميح القاسم على العديد من الجوائز والدروع وشهادات التقدير وعضوية الشرف في عدة مؤسسات. سجن القاسم أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية بسبب أشعاره ومواقفه السياسية.

<sup>3</sup> توفيق أمين زياد (1929 - 1994) كان شاعرا وكاتبا وسياسيا فلسطينيا من مدينة الناصرة، شغل منصب رئاسة بلدية الناصرة حتى وفاته، كما كان عضوا في الكنيسيت الإسرائيلي لعدة دورات انتخابية عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

<sup>4</sup> دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، ص - 242

<sup>5</sup> د/ كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص- 170،

كتابتها على منوال الشعر العمودي، ومالت بعد ذلك إلى الشعر الحر. يقول د/ عبد المنعم خفاجي عنها: "فدوى طوقان شاعرة عربية بديعة الأنغام، والتصوير، والموسيقى، صاحبة موهبة فنية رفيعة بين شعراء وشاعرات الوطن العربي المعاصرين"

ولها عدة دواوين والمجموعات الشعرية: "وحدى مع الأيام" (1952)، "وجدتها" (1957)، و"أعطني حبا"، و"أمام الباب المغلق"، و"الليل والفرسان" (1969)، "على قمة الدنيا وحيدا"، "تموز والشيء الآخر"، و"اللحن الأخير" (2000)<sup>1</sup>

ولها عدة مؤلفات نثرية أيضا: "أخي إبراهيم" (1946)، و"رحلة صعبة-رحلة جبليّة" (سيرة ذاتية-1985)، و"الرحلة الأصعب" (سيرة ذاتية-1993)<sup>2</sup>. ويقول الشاعر المشهور سميح القاسم عن سيرة ذاتية لفدوى طوقان: "منذ أيام الراحل العظيم طه حسين لم تبلغ سيرة ذاتية ما بلغته سيرة فدوى طوقان من جرأة في الطرح وأصالة في التعبير وإشراق في العبارة"<sup>3</sup>. يرى النقاد في شعر فدوى طوقان مراحل كثيرة، وقد نسجت في المرحلة الأولى على منوال الشعر العمودي وقد ظهر ذلك جليا في ديواني "وحدى مع الأيام" و"وجدتها". وشعرها يتسم بالنزعة الرومانسية، وأهدت فدوى ديوانها الأول "وحدى مع الأيام" إلى أخيها إبراهيم طوقان، وتتحدث فيها عن تأملات ذاتية وذكريات حب وأشواق<sup>4</sup>، وقصيدة "على القبر" من هذا الديوان يذكر أخيها إبراهيم، ويبدأ الشعر:

إلى روح إبراهيم  
أه يا قبر، هنا كم طاف روجي  
هائما حولك كالطير الذبيح

<sup>1</sup> دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، ص - 244

<sup>2</sup> <http://www.syrianstory.com>

<sup>3</sup> نفس المصدر

<sup>4</sup> دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، ص - 245

أو ما أبصرته دامي الجروح  
 يتتزي فرط تبريح ويأس  
 مرهقا مما يعنيه الحنين  
 وهنا يا قبره أشوق نفسي  
 يا لأشواق على تربك حبس  
 وهنا قبلة أحلامي وهجسي<sup>1</sup>

أما في ديوانها الثاني "وجدتها" تذكر عن الأنين الذاتي والألم. وفي المرحلة الثانية اتسمت أشعارها بالرمزية والواقعية وغلبه الشعر الحر، وتتضح هذه السمات في ديوانها "أمام الباب المغلق" و"والليل والفرسان". وفي المرحلة الأخرى تعنتى الشاعرة بنشاطات على الصعيد العربي والعالمي، وتتحدث فدوى طوقان في أمسياتها عن المعاناة التي لازمتها منذ احتلال اليهود للأرض العربية الفلسطينية، وتقول جريدة البعث السورية: "كانت قضية فلسطين تصبغ جانبا هاما من شعر فدوى بلون أحمر، وكان شعر المقاومة عندها عنصرا أساسيا وملحا رئيسيا لا يكتمل وجهها الشعري بدونه"<sup>2</sup>. ويقول د/ كامل السوافيري: "نظمت (فدوى) الشعر في أشكاله المختلفة وقوابله المتعددة، فهناك قصائد من الشعر الذي التزمت فيه الشاعرة وحدة الوزن والقافية وأخرى التزمت فيها وحدة الوزن مع تعدد القوافي وثالثة سارت فيها على نظام الموشحات ورابعة نهجت فيها طريقة الشعر الحر المعتمد على وحدة التفعيلة"<sup>3</sup>

#### مجالات ومواضيع كتاباتها

الأول - حزنها على فقدها لأخيها إبراهيم طوقان: فقد كان إبراهيم معلمها الأول الذي أخرجها بتدريسه إياها مما كانت تعانيه من انعدام تقدير المجتمع

<sup>1</sup> <http://www.diwanalrab.com>

<sup>2</sup> <http://www.syrianstory.com>

<sup>3</sup> الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص- 170

لإبداعاتها ومواهبها، ويظهر أثر موت أخيها إبراهيم جليا عندما نراها تهدي أغلب دواوينها إلى " روح أخي إبراهيم " ويظهر أيضا من خلال كتابها " أخي إبراهيم " والذي صدر سنة 1946 إضافة إلى القصائد العديدة التي رثته فيها خاصة في ديوانها الأول "وحدى مع الأيام".<sup>1</sup>

الثاني - قضية فلسطين: فقد تأثرت فدوى طوقان باحتلال فلسطين بعد نكبة 1948 وزاد تأثرها بعد احتلال مدينتها نابلس خلال حرب 1967 فذاقت طعم الاحتلال وطعم الظلم والقهر وانعدام الحرية. يقول عنها عبد الحكيم الوائلي: " كانت قضية فلسطين تصبغ شعرها بلون أحمر، كانت فلسطين دائما وجدانا داميا في أعماق شاعرتنا فيأتي لذلك شعرها الوطني صادقا متماسكا أصيلا لا مكان فيه للتعسف والافتعال"<sup>2</sup>

الثالث - تجربتها الأنثوية: لقد مثلت فدوى طوقان في قصائدها الفتاة التي تعيش في مجتمع تحكمه التقاليد والعادات الظالمة، فقد منعت من إكمال تعليمها، ومن إبراز مواهبها الأدبية، ومن المشاركة في الحياة العامة للشعراء والمتقنين، ومنعت من الزواج، كل ذلك ترك أثره الواضح في شعر فدوى طوقان بلا شك، وجعلها تدعو في كثير من قصائدها إلى تحرر المرأة وإعطائها حقوقها واحترام مواهبها وإبداعاتها، مما جعلها محط احترام وتقدير غيرها من الأدبيات اللاتي شاركتها نفس الفكر. يقول شاعر النابلسي، في مقدمة كتابه "فدوى طوقان تشتبك مع الشعر"، تميزت فدوى طوقان بروح إبداعية واضحة، وضعت شعرها في مقدمة الشعر النسائي الفلسطيني إن لم يكن في مقدمة الشعر النسائي العربي"<sup>3</sup>.

وجدير بالذكر، صدرت عن فدوى دراسات أكاديمية للماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات العربية والأجنبية، كما كتبت عنها دراسات منفردة في الصحف والمجلات العربية، وقد كانت فدوى الكوكب في سماء الشعر، كما تقول مجلة "الرسالة": "الشاعرة فدوى طوقان وهي الكوكب اللامع في سماء الشعر، والنجم الساطع في أفق الأدب، والبلبل الصادح للعروبة الذي غنى

<sup>1</sup> Encyclopedia of Arabic Literature (vol.II) , P. 786

<sup>2</sup> <http://www.diwanalarab.com>

<sup>3</sup> نفس المصدر

فأشجى الأسماع وهز الأفتدة<sup>1</sup>. وهذه الشاعرة الكريمة دعت الدنيا سنة 2003 عن عمر يناهز السادسة والثمانين عاما قضتها مناضلة بكلماتها وأشعارها في سبيل حرية فلسطين، وكتب على قبرها قصيدتها المشهورة:

كفاني أموت عليها وأدفن فيها  
وتحت ثراها أدوب وأفنى  
وأبعث عشبا على أرضها  
وأبعث زهرة إليها  
تعبث بها كف طفل نمته بلادي  
كفاني أظل بحضن بلادي  
ترابا، وعشبا، وزهرة ...

### المصادر والمراجع

1. د/ كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعارف، القاهرة
2. د/ فرحانة صديقي ، دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، نيو دلهي، 2003
3. Julie Scott Meisami & Paul Starkey، Encyclopedia of Arabic Literature (vol.II) ، Routledge، London، 1998
4. <http://www.diwanalarab.com>
5. <http://www.syrianstory.com>
6. <http://www.abab.com>
7. <http://palestinianwriters.blogspot.com>

<sup>1</sup> الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص- 170،